الفصل الخامس

الدوافع الإنسانية
وعلاقتها بالسلوك الإنساني
في التعامل

الفصل الخامس

الدوافع الإنسانية

وعلاقتها بالسلوك الإنساني في التعامل

إن علماء الاجتماع والنفس قد بدأوا منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى، يجهدون أنفسهم كثيراً لأجل تقديم وتطوير نظريات خاصة عن دوافع العمل، وأثر تطمين حاجات الفرد في زيادة الإنتاج وتطوير العمل نفسه، وقد استخدموا في ذلك طريقة الملاحظة والمتابعة الميدانية لتصرفات وسلوك العاملين في المصانع، ويعتبر(ماسلو) خير من كتب عن دوافع العمل، وهو يرى أن الإنسان يندفع ابتداءً نحو العمل لمواجهة احتياجاته الأساسية الفسيولوجية، والحاجة إلى الأمان، وعندما تلبى تلك الحاجات، تبرز حاجات عليا جديدة تنال نفس الأهمية التي كانت تحوز عليها الحاجات الأولى التي جرى تطمينها (إشباعها)، فتظهر الحاجات الاجتماعية ثم الحاجة إلى الاحترام.(البياع، د.ت: ص57)

وعندما تكون عندك دوافع وبواعث نفسية، يكون عندك حماس أكثر وطاقة أكبر، ويكون إدراكك أفضل، بعكس إذا كانت عزيمتك هابطة، فلا تكون عندك طاقة ويتجه تركيزك واهتمامك نحو السلبيات فقط؛ وتكون النتيجة في التدهور في الأداء.

ولكن ما في الدوافع؟.

دافع التي في بالإنجليزية (موتيفاشن Motivation) جاء مصدرها من الكلمة اللاتينية (كايترى Matere) ومعناها يتحرك. ويعرف قاموس (ويبستر Webster) كلمة الدوافع؛ بأنها الشئ الذي يدفع الإنسان للتصرف أو الحركة، ولو قمنا بتحليل كلمة (موتيفاشن Motivation)، نجد أنها مركبة من كلمتين (موتيف + أكشن/ Action + Motive)؛ يعنى التصرف الناتج عن الحركة.(الفقى، 2009: ص ص 25، 26)

ويقول (ماسلو) أن الحاجة التي تكون أساسية في وقت معين، تستحوذ على تفكير الإنسان العامل وتكون في مقدمة تفكيره، لذلك سيعمل وينظم فعالياته ونشاطاته لأجل الوصول إلى تطمين تلك الحاجة.

ويقول أيضاً أن الحاجة التي تلبى سوف لا تشكل دافعاً للعمل، لذلك فإن الإنسان دائماً يخلق حاجات جديدة تبرز عندما تطمأن الحاجة القديمة. وقد حدد (ماسلو) خمس حاجات أساسية للإنسان، وقد وضع تلك الحاجات على شكل هرم تتكون قاعدته من الحاجات الفسيولوجية. أما قمة الهرم فتتكون من الحاجة إلى تحقيق الذات.

وقد تم ترتيب الحاجات بشكل متعاقب، فمثلاً يعتبر الجوع حاجة أساسية فسيولوجية، ولكن عندما تتوفر كميات كبيرة من الغذاء في المجتمع المتقدم، ويكون بمقدور الإنسان العادي تطمين حاجاته منه، عندئذٍ تبدأ الحاجات الأعلى، وتستمر بالظهور ما دامت الحاجات الأدنى يجرى إشباعها باستمرار، ولكن الحاجة التي تطمئن بشكل كلى لا تبقى تمثل حاجة، كما أنه ليس ضرورياً تطمين كل مستوى من الحاجات تطميناً كلياً كي تظهر الحاجات التالية، لأن الإنسان دوماً في حالة حرمان، وعليه دوماً أن يبذل جهداً وطاقة ليحقق لنفسه الإشباع.البياع (د.ت)

ولقد كشف العالم النفسي (إبراهام ماسلو): أن كل البشر يشعرون بحاجات محددة، ويسعون إلى إشباعها، ولقد توصل إلى أن الحاجات البشرية تقنع الإنسان، وتتحكم في سلوكه.

وتمثل الحاجة غير المشبعة، قوة كامنة داخل الإنسان؛ تحثه على التصرف بحثاً عن إشباع هذه الحاجات، والتي تعد قوة دافعة لسلوك الإنسان. لذلك؛ فقد أصبح العمل ولأن العمل قد أصبح مصدراً أساسياً للكثيرين منا؛ للحصول على الحاجات الأولية، لما يوفره العمل من دخل مادي يمكّن الفرد من شراء الحاجات وتوفيرها لإشباع احتياجاته. سالم (2009: ص 67)

وذلك بعكس النظرة السيئة للعمل في الماضى؛ فقد كان العمل بمثابة لعنة، إن كلمة "بونوس" وهى تعنى العمل في اليونانية مأخوذة من عقوبة، وهو ما يعنى الحزن، فقد كان العمل اليدوي للعبيد، أما الأحرار فقد كان دورهم الاشتراك في الحروب، والتجارة، والفنون وخاصة العمارة أو النحت (Rose:1985)، وقد انتقلت قيمة العمل بمرور الوقت، من النظرة الدونية له، بدءاً من اعتباره عقاب من الله على خطيئة آدم وخروجه من الجنة، والنزول إلى الأرض؛ حيث المشقة والتعب لسد حاجاته الأساسية، ثم إلى مرحلة إضفاء القيمة للعمل في فترات ظهور الأديان، وحثها على العمل، ونهاية بما هو عليه الآن من قيمة.

والحق أن كافة مراحل العمل التاريخية، لم يكن فيها العمل قيمة في حد ذاته، أو هدف يسعى الناس إليه لتحقيق تقدم المجتمع، بل كان مجرد وسيلة لإشباع الحاجات الإنسانية من مأكل وملبس وغير ذلك من وسائل العيش. على (2011)

لذلك؛ يتوقف نجاح إدارة الموارد البشرية إلى حدٍ كبير، على مقدرة المدير على تفهم الأشخاص الآخرين، وعلى مقدرة الآخرين أيضاً على تفهم المدير، وليس من المبالغة في شيء؛ القول بأن الاتصال الإنساني هو الوسيلة التي يتم بها توحيد النشاط المنظمة، وفى أي تنظيم، مهما كان نوعه، فإن نقل المعلومات من

فرد لآخر؛ تعتبر من الضروريات الجوهرية، فبواسطة هذا النقل؛ يمكن تعديل السلوك، وإحداث التغيير المطلوب،؛ ومن ثم تحقيق الأهداف. سالم (2009)

وهذا ما يؤكد قناعتنا بأهمية إدراك العوامل النفسية ودورها في حياة الأفراد، فالصعوبات النفسية مثلاً؛ تعد من أهم معوقات الاتصال الإنساني بين الناس، داخل المنشأة بين العاملين بعضهم البعض، أو بينهم وبين العملاء.

وتنقسم دوافع السلوك الإنساني إلى قسمين:

أولاً: الدوافع الفسيولوجية، وتشمل:

1- دوافع حفظ الذات.
2- دافع بقاء النوع، والذي ينقسم إلى:
   أ- الدافع الجنسي.
   ب- دافع الأمومة.

ثانياً:الدوافع النفسية، وتشمل:

1- دافع التملك.
2- دافع العدوان.
3- دافع التنافس.
4- دافع التدين.
5- الدوافع اللاشعورية.

وقبل أن نتعرض لتلك الدوافع علينا أن نقدم تعريفاً سريعاً للسلوك، والذي يعرف في مجال الدراسات النفسية: بأنه كل استجابة داخلية، أو خارجية تحدث نتيجة تعرض الإنسان، أو الحيوان لمثيرات داخلية أو خارجية، ولذلك يمكن النظر إلى السلوك وتصنيفه كالآتي:

1- سلوك فطرى أو مورث يولد الإنسان مزوداً به، أو على الأقل مزوداً باستعداد عام للقيام به، ومن ذلك البكاء، والإخراج، والنوم، والجنس، وهو سلوك عام

يشترك فيه جميع أفراد الجنس البشري، بصرف النظر عن الاختلافات الثقافية والحضارية، وهو سلوك غير مكتسب من البيئة.

2- سلوك متعلم أو مكتسب من التفاعل والاحتكاك بالبيئة الاجتماعية والمادية التي ينشأ الفرد فيها، ومن ذلك التدخين و القراءة والكتابة أو السباحة والجري وركوب الخيل.. الخ.

3- سلوك شعوري يدركه الفرد، ويعترف به، ويعرف أهدافه ومراميه، كذهابه للجامعة بقصد التعلم، أو العمل بقصد الرزق...

4- سلوك لا شعوري لا يدركه الفرد ولا يعترف به ولا يعرف مغزاه أو أهدافه، مثل.. فلتات اللسان، وزلات القلم، ونسيان المواعيد، والعُقَد والأمراض النفسية والأحلام.. الخ.

5- سلوك حركي ظاهر: كالجري أو المشي أو الكلام بصوت مسموع.

6- سلوك ضمني مستتر خفي كالتفكير أو التأمل أو أحلام اليقظة.

7- سلوك داخلي: كإفراز بعض الغدد الصماء.

8- سلوك إرادي: كالجري أو المشي، وسلوك لا إرادي كضربات القلب وعملية التنفس، وتقلصات المعدة، وعملية الهضم وما إلى ذلك.

9- وهناك السلوك السوي الطبيعي كالخوف من الأسد، وسلوك غير سوي أو شاذ كالخوف من الماء أو الرعد والبرق، أو الأماكن الواسعة أو الضيقة، أو الخوف من الخيول والعناكب وما إلى ذلك.

10- سلوك بسيط: كالانعكاسات الأولية كحركة الركبة أو رمش العين، وسلوك معقد: كالتفكير أو التحدث بلغة أجنبية أو قيادة السيارة.

وهذا السلوك يصدر عن الكائن الحي بكليته، أي بما فيه من قوي جسمية ونفسية وعقلية واجتماعية. يؤكد هذا السلوك أن الإنسان وحدة جسمية نفسية عقلية روحية خلقية اجتماعية متفاعلة متكاملة.. فالسلوك ظاهرة بالغة التعقيد والتشابك، تتداخل فيه العديد من العوامل.

فالكائن الحي ينمو ويتعلم ويتفاعل، أي يؤثر ويتأثر بالبيئة الاجتماعية كالأسرة والنظم والقوانين واللوائح والعقائد وجماعات الأقران والأعراف والتقاليد والعادات والمُثُل العليا، كما يتفاعل مع عناصر البيئة الفيزيقية المحيطة به بما فيها من أودية وسهول، وظروف مناخية، وما فيها من مظاهر الحضارة المادية.. كلها تطبع شخصية الإنسان بطابع معين، فسكان الصحاري يختلفون في سماتهم عن سكان الحضر، وشعوب الشرق تختلف عن شعوب الغرب... الخ.

وما لدى الإنسان من عادات وتقاليد وأفكار ومُثُل وعقائد وطموحات إنما تتركز في دماغه أو جهازه العصبي Hisnervoous System وكثير مما ندرسه في الإنسان يعبر عنه من خلال تعبيراته الجسمية، أو سلوكه الجسمي. (العيسوى، 2000)

دوافع السلوك:

أولاً: الدوافع الفسيولوجية:

1- دوافع حفظ الذات:

الذات هي جوهر الشخصية، ومفهوم الذات هو حجر الزاوية فيها، وهو الذي ينظم السلوك. ويقول "ألبورت Allport" (1937) أن مفهوم "الذات" مفهوم أساسي في دراسة الشخصية، ونظرية الذات لـ "كارل روجرز Rogers' self- theory" هي أحدث وأشمل نظريات الذات وذلك لارتباطها بطريقة من أشهر طرق الإرشاد والعلاج النفسي، وقد بدأ تاريخ نظرية الذات لكارل روجرز عندما بدأ روجرز الإرشاد والعلاج النفسي.

وهناك مكونات رئيسية في نظرية الذات عنده. هذه المكونات هي:

- الذات، مفهوم الذات، الخبرة، الفرد، السلوك، المجال الظاهري.
- الذات Self: مفهوم الذات قديم قدم الحضارة المصرية، وفي هذا المفهوم نمو ديني

وفلسفي عبر التاريخ، واقتبسه المفكرون اليونان مثل "أفلاطون"، و"سقراط"، و"أرسطو" وفلسفوه، ثم احتضنه المفكرون العرب مثل العلامة ابن سينا في القرن العاشر، والعالم الفيلسوف أبو حامد الغزالي في القرن الحادي عشر. ولقد علمنا الله ما لم نكن نعلم عن: النفس الملهمة، والنفس اللوامة، والنفس البصيرة، والنفس المطمئنة، والنفس الأمارة بالسوء. ويقول الغزالي أن الواجهات الأربع الأولى للنفس البشرية حميدة أما الأخيرة فهي غير محمودة.

وقد ذكر ابن سينا مفهوم الذات على أنه الصورة المعرفية للنفس البشرية، وتكلم من جاء بعد ذلك من المفكرين عن مفهوم الذات متذبذبين بين الروح تارة، وبين الذات تارة.

ومنذ بداية القرن العشرين أخذت معظم النظريات النفسية تتبنى مفهوم "الذات" أو "الأنا" كمفهومين هامين في دراسة الشخصية والتوافق النفسي، ولكن النظريات اختلفت حول طبيعة الذات وبنيتها وتركيبها وأبعادها ووظائفها، وعلى كل حال فإن تعريف الذات كما حدد في نظرية "روجرز" هو: أنها كينونة الفرد أو الشخص، وتنمو الذات وتفصل تدريجياً عن المجال الإدراكي، وتتكون بنية الذات نتيجة التفاعل مع البيئة، وتشمل الذات المدركة، والذات الاجتماعية، والذات المثالية، وقد تمتص قيم الآخرين، وتسعي إلى التوافق والاتزان والثبات، وتنمو نتيجة النضج والتعلم، وتصبح المركز الذي تنتظم حوله كل الخبرات، وهذا المفهوم له وظيفة دافعية وتكامل وتنظيم وبلورة عالم الخبرة المتغير الذي يوجد الفرد في وسطه، لذا فإنه ينظم ويحدد السلوك، وينمو مفهوم الذات تكوينياً كنتاج للتفاعل الاجتماعي جنباً إلى جنب مع الدافع الداخلي لتأكيد الذات.. (زهران، 1977:ص ص 95-97)

ولقد قدم ماسلو تنظيماً هرمياً للدوافع في عدة مستويات هي على التوالي:

1- حاجات فسيولوجية Phsiological needs.
2- حاجات الأمن Safety needs.

3- حاجات الانتماء والحب Belongingness and Love needs.
4- حاجات تقدير الذات Esteem needs.
5- حاجات تحقيق الذات Self- Actualization needs.
6- حاجات الفهم والمعرفة Knouwledge- needs.

وتشتمل الحاجات الفسيولوجية – كما حددها ماسلو – على الحاجات التي تكفل بقاء الفرد مثل الحاجة إلى الهواء والشراب والطعام. أما الحاجة إلى الأمن تشير إلى رغبة الفرد في الحماية من الخطر والتهديد والحرمان. وحدد الحاجات الاجتماعية بأنها الرغبة في الانتماء والارتباط بالآخرين. أما الحاجة إلى التقدير فتتمثل في الرغبة في تقدير الذات وتقدير الآخرين لها. وأخيراً حدد الحاجة إلى تحقيق الذات بأنها رغبة الفرد في تحقيق إمكاناته وتنميتها. ويعتمد تحقيق الذات على الفهم والمعرفة الواضحة لدى الفرد بإمكاناته الذاتية وحدودها.(خليفة، 2000: ص ص 85، 86)

وجدير بالذكر أن عندما تتحقق حاجات الفرد الخاصة بالحب، عندما يحب الآخرين ويحبونه، فإن دافعيته الخاصة بالحب والانتماء تنخفض وترتفع بدلاً منها حاجات اعتبار الذات. والتي قسمها "ماسلو" إلى مجموعتين، تشتمل المجموعة الأولى على احترام المرء لذاته، وتشتمل المجموعة الثانية على توقير الآخرين أو احترامهم لهذا الفرد. وتشتمل المجموعة الأولى على حاجات مثل الرغبة في الكفاءة، أو التمكن،أو الإقتدار، وكذلك الثقة وقوة الشخصية والإنجاز والإستقلال والحرية، إن هذا يعني أن الفرد يحتاج إلى أن يعرف أنه جدير ببعض الأشياء، وأنه قادر على التفوق في عمله وعلى التحدي خلال الحياة.

أما التوقير أو الاحترام من الآخرين فيشتمل على المكانة الاجتماعية، واعتراف الآخرين بالفرد وتقبلهم له وانتباههم إليه والمركز الاجتماعي والشهرة والذيوع والسمعة الطيبة.. الخ.

.. وبعد إشباع كل الحاجات السابقة يأتي دور حاجات تحقيق الذات، وقد حدد ماسلو حاجة تحقيق الذات باعتبارها الرغبة في تحقيق المرء كل ما يريد تحقيقه، إنه الاستخدام الأمثل لكل ما لدى المرء من قدرات ومواهب وإمكانات. وخلاصة القول أن هذا الدافع يعني رغبة المرء في تحسين ذاته، ويعني أيضاً: أن يكون المرء قادراً على جعل ما هو ممكن لديه فعلياً ومتحققاً. (عبد الحميد، 1995: ص ص 129، 130)

2- دوافع حفظ الذات في القرآن الكريم

يقول المولى عز وجل: ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [طه: 117-120].

ذكر الله سبحانه وتعالي في بعض آيات القرآن أهم الدوافع الفسيولوجية التي تقوم بحفظ الذات وبقاء الفرد مثل الجوع، والعطش، والتعب، والحرارة، والبرودة، والألم، والتنفس، لقد خاطب الله تعالي آدم عليه السلام، وهو في الجنة مذكراً له ما هو فيه من نعيم حيث لا يؤذيه الشعور بالجوع أو العطش، وحيث لا يعري فيخدش حياءه وتؤذيه تقلبات الجو، وحيث لا يشعر بحرارة الشمس حيث لا توجد شمس في الجنة، ومحذراً له من الوقوع في شرك الشيطان الذي يريد أن يخرجه من الجنة ليهبط إلى حياة الأرض التي سيشقي فيها هو وأبناؤه بالسعي والعمل المتواصل بالصيد والحرث والزرع لإشباع دافع الجوع، وحفر الآبار والضرب في الأرض للوصول إلى مجاري الأنهار لإشباع دافع العطش، وصنع الملابس لاتقاء العري الذي يعرضه لتقلبات الجو، والالتجاء إلى ظلال الأشجار والكهوف وبناء المساكن لاتقاء حرارة الشمس وبرودة الليل. (نجاتي، 1982: ص ص 25، 26)

والمعني: تحذير لآدم من أن يسعى الشيطان في إخراجه منها (من الجنة) هو وزوجه

حواء رضي الله عنها، فتتعب وتعني وتشقي في طلب الرزق، فإنك هاهنا في عيش رغيد هنئ بلا كلفة ولا مشقة، وقد قرن بين الجوع والعري في الآيات لأن الجوع ذل الباطن والعري ذل الظاهر، أيضاً فالظمأ حر البطن وهو العطش، والضحى حر الظاهر وهذان أيضاً متقابلان. (ابن كثير، د.ت: ص496)

وفي هذه الآيات إشارة إلى ثلاثة دوافع هامة من دوافع حفظ الذات، وهي دوافع.. الجوع والعطش وتجنب الحرارة (وكذلك البرودة) المفرطة. كما تشير هذه الآيات أيضاً إلى دافع حب البقاء ودافع التملك.

وتعمل دوافع حفظ الذات في خدمة دافع حب البقاء، فهي بإشباعها حاجات البدن الفسيولوجية إنما تعمل على بقاء الفرد واستمرار حياته. أما دافع التملك فهو من الدوافع النفسية التي سنتناولها فيما بعد. وقد كان دافع حب البقاء ودافع التملك مدخل الشيطان إلى نفس آدم فوسوس له: : ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: 120]. فنسي آدم ما حذره الله تعالي منه، وعصي أمر ربه فأكل من الشجرة، ونجد في الآيات التالية من سورة النحل إشارة إلى بعض دوافع حفظ الذات وهي: الحرارة والبرودة والتعب والألم..

قال تعالي: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [النحل: 80-81]

يذكر الله سبحانه وتعالى تمام نعمه على عبيده بما جعل لهم من البيوت التي هي سكن لهم يأوون إليها، ويسترون بها وينتفعون بها بسائر وجوه الانتفاع. وجعل لهم أيضاً من جلود الأنعام بيوتاً. أي من الأدم يستخفون حملها في أسفارهم ليضربوها لهم في إقامتهم في السفر والحضر، وجعل الله عز وجل الشجر ظلالاً،

والجبال حصوناً ومعاقل، كما جعل أيضاً السرابيل وهي الثياب من القطن والكتان والصوف، أيضاً الدروع من الحديد المصفح وغير ذلك، وهكذا يجعل لكم ما تستعينون به على أمركم، وما تحتاجون إليه ليكون عوناً لكم على طاعته وعبادته – لعلكم تسلمون. (ابن كثير، د.ت: ص341)

ودوافع حفظ الذات موجودة لدى كل من الحيوان والإنسان. وتشير الآية الكريمة التالية من سورة النمل إلى دوافع حفظ الذات عند النمل مما يجعلها تتجنب ما يؤذيها، ويلحق بها الضرر، ويصيبها بالهلاك والدمار، فنجد إشارة واضحة إلى دوافع حفظ الذات عند النمل، يقول تعالى: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [النمل: 17-18]

وإلى جانب دافع الجوع والذي أشارت إليه بعض آيات القرآن، يوجد انفعال الخوف في حياة الإنسان "الخوف من الموت، أو من المستقبل المجهول، أو من الأعداء، أو من غير ذلك من مصائب الدهر، كثيراً ما يكون سبباً في شقاء الإنسان. ولذلك فقد ذكرت بعض آيات القرآن كلاً من الجوع والخوف كعاملين لهما أثرهما الخطير في حياة الإنسان.

قال تعالي:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [البقرة: 155].

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [النحل: 112].

﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ﴿٤﴾ ﴾ [قريش: 3-4].

ومن آيات الله أن ينام الإنسان سواء بالليل أو بالنهار لإراحة بدنه من عناء العمل أثناء النهار، وطلبه للرزق من فضل الله الواسع، وقيامه بمسئولياته المعيشية المختلفة وفي هذا المعني قال الله تعالي أيضاً:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَسۡمَعُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [يونس: 67].

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [غافر: 61].

﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [النمل: 86].

وغيرها من الآيات التي تدل على أن الله سبحانه وتعالي جعل الليل سائراً بسواده ليستريح فيه الناس، ويسكنوا وينام بعد عناء العمل وكثرة الحركة والنشاط أثناء النهار، وجعل النهار مضيئاً ليتمكنوا من السعي في الأرض طلباً للرزق وللقيام بمتطلبات معايشهم. إن التعب دافع هام يدفع الإنسان إلى الراحة والنوم بعد عناء العمل أثناء النهار، فتسترد خلايا بدنه نشاطها وحيويتها، ويستيقظ الإنسان بعد النوم قوياً قادراً على مواصلة عمله في حيوية ونشاط، ويؤدي النوم إلى التخلص من التوتر البدني الذي ينشأ عن المخاوف التي تنتاب الإنسان، وعن كثير من المشكلات والصعاب التي يتعرض لها أثناء حياته اليومية. يتضح ذلك مما جاء في القرآن في وصف حال المسلمين أثناء موقعة بدر حينما استولى على بعضهم الخوف. نجاتى (1982)

قال تعالي: ﴿ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ﴿١١﴾ ﴾ [الأنفال: 11].

فقد أدي نعاسهم إلى إزالة خوفهم مما أعاد إليهم حالة الأمن والاطمئنان،

أيضاً من الدوافع الفسيولوجية الضرورية للحياة – دافع التنفس – فالإنسان يحتاج إلى تنفس الأكسجين ليعيش. فإذا قل الأكسجين شعر بدافع قوي يدفعه إلى استنشاقه. فإذا انعدم الأكسجين نهائياً مات الإنسان، وقد أشار الله تعالي إلى أهمية التنفس في حياة الإنسان في قولة تعالي:

﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت: 40].

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [يونس: 22].

ومن هنا تتضح أهمية دافع التنفس كدافع فسيولوجي فطري يؤدي وظيفة هامة في حفظ الذات وبقائها، ما يشعر به الإنسان من خوف شديد إذا ما أحاط به خطر يهدده. وقد أشار الله تعالي – في الآية السابقة – على حالة الذعر التي تصيب الإنسان إذا كان في الفلك في عرض البحر وهبت عليه عاصفة شديدة، وأحاط به الموج من كل مكان، وشعر بخطر الموت غرقاً". نجاتى (1982)

3- دافعا بقاء النوع:

أ – الدافع الجنسي.

ب– دافع الأمومة.

ويعتبرهما علماء النفس القسم الثاني من الدوافع الفسيولوجية بعد دوافع حفظ الذات، وجدير بالذكر أن الدافع هو حالة داخلية أو استعداد داخلي فطري أو مكتسب شعوري أولا شعوري، عضوي أو اجتماعي أو نفسي، يثير السلوك، ذهنياً كان أو حركياً، ويوصله ويسهم في توجيهه إلى غاية شعورية، أو لاشعورية. فمن الدوافع ما هو فطري، وما هو مكتسب، ثم ما هو شعوري، وما هو لاشعوري.

فالدافع الفطري يمتاز بأنه عام ومشترك بين جميع الأفراد، ودافعا الجنس والأمومة من الدوافع الفطرية، ولكن هذا لا يمنع من وجود بعض الحالات الفردية الشاذة التي تنحرف عندها هذه الدوافع، فالدافع نحو الأمومة قد يضعف عند بعض الأمهات، أو الدافع الجنسي عندما يتخذ شكلاً شاذاً عند بعض الرجال والنساء كما هو الحال في حالات الشذوذ الجنسي.

وإلى جانب ذلك فإن الدافع الفطري يمتاز بظهوره منذ الميلاد، أو على الأقل في سن مبكرة أي قبل أن يستفيد الفرد من الخبرة ومن أساليب التربية التي يقدمها له المنزل والمدرسة والمجتمع بأسره، فهو لا يتكون بالاكتساب عن طريق الخبرة والتعلم، فالطفل الصغير ليس في حاجة إلى من يعلمه كيفية البكاء،أو الصراخ، أو كيف يقوم بعملية الإخراج، أو كيف يمتص ثدي أمه. العيسوي (2000: ص50)

ويلاحظ أن غرائزنا تنقسم إلى مجموعتين رئيسيتين هما:

المجموعة الأولى، وتتكون من غرائز	المجموعة الثانية، وتتكون من غرائز
1- الهرب.	1- الجنس.
2- النفور أو التقزز.	2- التجمع.
3- حب الاستطلاع.	3- البناء أو الإنشاء.
4- المقاتلة.	4- الاستحواذ أو التملك.
5- الخنوع.	
6- تأكيد الذات.	
7- الأبوة أو الوالدية (الأمومة).	

شكل (5) جدول تقسيم الغرائز

وترتبط غرائز المجموعة الأولى بانفعالات سبعة: فالخوف يرتبط بالهرب، والاشمئزاز يرتبط بالنفور أو التقزز، والدهشة ترتبط بحب الاستطلاع، والغضب

يرتبط بالمقاتلة، والعبودية ترتبط بالخنوع، والازدهار يرتبط بتأكيد الذات، والحنان يرتبط بالأبوة أو الوالدية (الأمومة).

غير أن الجوانب الوجدانية من استثارة هذه الغرائز ليست من الوضوح والبروز بحيث تدفع الإنسان إلى أن يعطيها أسماء معينة، ولذلك لم يضع "مكدوجل" قائمة بأسماء الانفعالات التي تصحب المجموعة الثانية". (سويف، د.ت: ص200)

وقد ذكر "مكدوجل" في أحد مؤلفاته تصنيفاً آخر يحتوي على 14 غريزة لدي الكائن الحي يصحب استثارة كل منها انفعال خاص، وهي:

الغريزة	انفعالها
المقاتلة	الغضب.
الوالدية	الحنو.
الهرب	الخوف.
حب الاستطلاع	التعجب.
البحث عن الطعام	الجوع.
النفور	الاشمئزاز.
الاستغاثة	الشعور بالضعف.
الخنوع	الشعور بالنقص.
السيطرة	الزهو.
التملك	حب التملك.
الحل والتركيب	العمل والنشاط.
حب الاجتماع	الشعور بالوحدة.
الضحك	التسلية.
الغريزة الجنسية	الشهوة الجنسية

شكل (6) الغرائز والانفعالات المصاحبة لها

وقد أضاف "مكدوجل" إلى هذه القائمة في عام 1933م بعض الغرائز الأخرى، وهي: غريزة الراحة، غريزة النوم، غريزة الهجرة. وأنه لا يتم تعديل الغرائز في جانبها الإدراكي، وجانبها النزوعي فحسب، بل إن هنالك مجالاً أكبر تتعدل فيه الغرائز، وتتحول إلى ميول مركبة وعواطف.

وقد لاقت نظريته ولازالت تلقي كثيراً من النقد، ذلك أن إرجاع السلوك الإنساني إلى الفطرة يتنافى مع الاتجاه العلمي، فالفطرة لا تخضع للبحث العلمي، كما أنها لا تخضع للسيطرة والتحكم الذي هو من أهم أهداف العلم.

كذلك يهاجم البعض نظرية الغرائز على أساس أنه لا يوجد اتفاق بين المنادين بها على عدد الغرائز، ولا على أنواعها، فقد قال "مكدوجل" بـ 14 غريزة، وقال "وليم جيمس" بـ 32 غريزة، وقال غيره بـ 100 غريزة، بينما رد "فرويد" سلوك الإنسان إلى غريزتين، ومثل هذا الاختلاف إنما يشكك الباحث في صحة الأساس الذي قامت عليه نظرية الغرائز. (فهمي، د.ت)

مما سبق يصعب على العلماء تمييز الغريزة الإنسانية، فالفصل بين السلوك المكتسب، وبين السلوك الفطري من الصعوبة التي تجعل حسم الأمر من ضروب المستحيل، نظراً إلى ما طرأ على الإنسان من آثار الحضارة، وما اكتسبه عن طريق المحاكاة والتقليد والعادات والعقائد، فلابد لنا في البحث عن الغريزة الخالصة من هذه الآثار المكتسبة، أي أن نرجع إلى الطفل الصغير: فهو أوضح في الدلالة لأنه لا يزال بعيداً عن تأثير الكسب والعادة، أو إلى الإنسان الأول، (ولصعوبة عزل الإنسان يمكن لنا الرجوع إلى الحيوان) مثل ما حدث في تجربة "سبالدنج Spalding" في عام 1873م.. حين فكر: هل يطير الطير عن فطرة، أو عن تعود. ذلك أن آباء الطير تدفع صغارها إلى الطيران، وتدربها، ويكتسب الصغار منها حركة الطيران بالمحاكاة، لذلك أحضر "سبالدنج" بعض صغار الطيور الحديثة الفقس، ثم حبس كل واحد منها في قفص على حدة، ولم تكن الأقفاص من السعة بحيث تسمح لها بتحريك أجنحتها، ولما نبت ريشها وحان موعد طيرانها أطلقها، فإذا بها تطير

وتحرك أجنحتها لأول وهلة كغيرها من الطير تماماً. ومن هذه التجربة يمكننا أن نخرج بحقيقة ثبات الغريزة وفطريتها.

بالإضافة إلى مميزاتها الأخرى، وهي:

1- **الغريزة نوعية:** ومعني ذلك أنها واحدة بالنسبة لجميع أفراد النوع من جنس واحد، فلكل نوع غرائزه التي تميزه عن غيره، مثال ذلك البيوت التي تنسجها العناكب، فكل صنف منها ينسج بيتاً بشكل مخصوص، مثل تلك التي تنسج البيوت في زوايا الحيطان، هذه الوحدة في النوع ليست مطلقة، إذ أن هناك فوارق شخصية، لأن الأفراد لا يتشابهون إلى حد التطابق. ولكن هناك صفات أساسية ثابتة هي التي تسمح لعالِم الحيوان أن يميز الأنواع المختلفة منه.

2- **الغريزة فطرية:** وهذه من أهم الصفات التي تميزها، وإذا نفينا هذه الصفة عنها فإننا ننفي بذلك وجود الغريزة نفسها. فالغريزة تخلق كاملة، لا يحتاج الكائن إلى التعلم والكسب والتدريب لتأدية العمل.

3- **الغريزة عمياء:** تتميز الأعمال الإرادية عند الإنسان بأن هناك غرضاً يستدعي الشعور به إتباع طريق يوصل إليه، فالغرض هو الذي يملي على الإنسان اختياره الطريق – يشعر المريض بالمرض، فيمتنع عن تناول الطعام حتى لا يزداد به المرض –، ويتضح لنا أن التجربة الشخصية تعدل من العمل الغريزي. وعلى ذلك فإن الغريزة ليست عمياء على الإطلاق. (الأهوانى، 1938: متعدد)

ورغم أن العديد من العلماء اعتبروا دافع الجنس، ودافع الأمومة من الغرائز، إلا أن هناك من يعارض إضفاء صفة الغريزة عليهما، فيقول "بيتش Beach" في كتابه" علم النفس التجريبي": أن السلوك الجنسي ينمو ويتطور بطرق مختلفة في الحيوانات المختلفة، ويمكن التحكم فيه عن طريق عوامل داخلية، وعوامل خارجية في ذكور وإناث النوع الواحد. كما يبدو أن سلوك الأمومة يتأثر بعوامل عدة تتراوح ما بين أثر تغذية الأنثى قبل نضجها الجنسي، إلى خبرتها السابقة في العناية

بالأطفال قبل ولادتهم. والاختلافات بين الكائنات الحية واسعة جداً. ويتوقف السلوك في النوع الواحد منها على عمليات كثيرة متداخلة ومعقدة. وتناقض كل هذه الأدلة تبويب السلوك الجنسي وسلوك الأمومة تحت لفظة غريزة، أو لفظة سلوك غير متعلم. (القوصي، 1956: ص80)

والحقيقة أنهما مزيج من الرأيين، فهي أمور فطرية داخل الإنسان، إلا أن اكتشافها يحتاج إلى عناصر عديدة تكون في النهاية البيئة المناسبة لاكتشافها ثم توجيهها بالشكل المناسب ليكون السلوك منضبطاً وسوياً. فالثدي عند المرأة مثلاً في نظر الطفل هو مصدر غذائه الذي يساعده على الحياة، وفي فترة أخرى من حياة الإنسان (رجل/ امرأة) يدرك أنه أحد مراكز الإحساس بجسد المرأة، وبه كثير من المثيرات.

أيضاً شعور الأنثى بالأمومة يأخذ شكله الحقيقي في الإحساس الفعلي بها عن طريق المرور بكافة مراحل الولادة ورغم ذلك تؤثر البيئة المحيطة، إضافة إلى النشأة في طبيعة السلوك الإنساني الناتج عن هذا الدافع.

وفيما يلي عرض دافع الجنس ثم دافع الأمومة وذلك من خلال آيات القرآن الكريم:

(أ) **دافع الجنس:**

وغايته الأصلية هي الاتصال الجنسي المؤدي إلى التكاثر وتظهر في الإنسان مكتملة النمو في دور المراهقة. جلال (1966: ص210). وكما اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالي أن يوجد في طبيعة التكوين الإنساني والحيواني دوافع فسيولوجية فطرية تدفعها إلى أنواع السلوك الضرورية لحفظ الذات، فقد اقتضت حكمته كذلك أن يوجد في طبيعة تكوينهما دافعين فسيولوجيين فطريين يدفعانهما إلى القيام بنوعين هامين من السلوك يتوقف عليهما بقاء النوع.

هذان الدافعان هما: الدافع الجنسي، ودافع الأمومة.. الدافع الجنسي عن طريقه

تتكون الأسر، ومن الأسر تتكون المجتمعات والشعوب، فتعمر الأرض، وتتعارف الشعوب، وتزدهر الحضارة، وتتقدم العلوم والصناعات، واقتضت مشيئة الله تعالي أن توجد وظيفة التناسل في النباتات أيضاً. كما اقتضت مشيئته تعالي أن يوجد كل شيء في الكون أزواجاً.

.. والدافع الجنسي أساس تكوين الأسرة حيث يسكن كل زوج إلى زوجه فيشعر بالراحة والأمن والطمأنينة، وتنشأ بينهما عواطف المحبة والمودة والرحمة، مما يؤدي إلى إستمرار الحياة الزوجية في وفاق وتعاون مما يهيئ الجو السليم لتنشأة الأطفال ورعايتهم وتكوين شخصياتهم تكويناً سليماً. نجاتي (1982)

ومن آيات القرآن الكريم ما يؤكد على هذه الأمور وأكثر من ذلك، يقول الله تعالي:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾. [الحجرات: 13]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾. [النساء: 1]

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ٧٢ ﴾. [النحل: 72]

﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ ﴾. [الشورى: 11]

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٣ ﴾. [الرعد: 3]

﴿ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٤٩ ﴾. [الذاريات: 49]

﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ٣٦ ﴾. [يس: 36]

﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢١ ﴾.[الروم: 21]

﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٨٩ ﴾.[الأعراف: 189]

(ب) **دافع الأمومة:**

ويعبر عنه بغريزة الوالدية وانفعالها المصاحب هو الحنو، وهي تستثار عند إدراك الضعف في الآخرين وحاجتهم إلى المساعدة، و تظهر متأخرة عند الإنسان، أي أنها لا تظهر على الأقل في السنوات الأولى: وتتجه بصورتها الفطرية نحو حماية الذرية، ولكنها بصورتها المعدلة تتجه إلى موضوعات أخرى كالفقراء أو العجزة أو الحيوان أو المجتمع.القوصى (1956: ص80)

وقد شاءت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يوجد أيضاً في طبيعة تكوين الأم دافعاً فطرياً يهيئها للقيام برسالتها الهامة في الإنجاب لبقاء النوع. فهي تتحمل مشاق الحمل والولادة عن رضا، وتقوم بإرضاع الطفل ورعايته والحنو عليه حتى ينمو ويصبح قادراً على العناية بنفسه، وقد أشار القرآن إلى ما تتحمله الأم من عناء في الحمل والولادة، كما يصف القرآن عواطف الأم وحبها لأولادها، وشغفها بهم، وخوفها عليهم، وحزنهم لبعدهم عنها، وفرحها لقربهم منها، وذلك أثناء ذكره تعالى لقصة موسى على نبينا الكريم وعليه الصلاة والسلام. ففي الآية 10 من سورة القصص يبين المولى عز وجل كيف كان فؤاد أم موسى خالياً من التفكير في أي شيء ما عدا أبنها. وكادت لفرط خوفها عليه وحزنها لفراقه أن تدل عليه لولا أن ثبت الله تعالي قلبها وأنزل السكينة والطمأنينة في نفسها، ولما رد إليها ابنها ذهب عنها الحزن، وعادت إليها سعادتها. نجاتى (1982)

يقول الله تعالي عن دافع الأمومة:

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأحقاف: 15]

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [لقمان: 14]

﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾. [القصص: 10]

﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾. [القصص: 13]

ثانياً: الدوافع النفسية في القرآن الكريم، وتشمل:

1- دافع التملك:

قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ . [آل عمران: 14]

وفي هذه الآية يخبر تعالي عما زين للناس في هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ من النساء والبنين، وحب المال كذلك، تارة يكون للفخر والخيلاء والتكبر على الضعفاء والتجبر على الفقراء فهذا مذموم، وتارة يكون للنفقة في القربات وصلة الأرحام ووجوه البر والطاعات فهذا ممدوح محمود شرعاً، وفي قوله "ذلك متاع الحياة الدنيا" أي إنما هذا زهرة الحياة الدنيا وزينتها الفانية الزائلة". ابن كثير (د.ت)

ومن الآيات التي تدل أيضاً على هذا الدافع قوله تعالى:

﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ ﴾. [الفجر: 20]

﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾. [الكهف: 46]

﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾. [الحديد: 20].

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [طه: 120]

ومن هذا يتضح لنا أن دافع التملك من الدوافع التي يسعى الإنسان فيها إلى تحقيق المتعة لنفسه، وللتنشئة الاجتماعية أكبر الأثر في هذا الدافع، يضاف إلى ذلك البيئة المحيطة وطبيعة العصر الذي يعيش فيه الإنسان، فعصر الرسول ﷺ يختلف عن العصر الحالي والذي يعج بالمادية وحب التملك، وقد زاد الأمر لدرجة الشذوذ في سلوك الإنسان نحو التملك، وهنا تبرز أهمية الرجوع إلى الدين، وإلى دستوره الأول الصادق المنزه عن الخطأ والهوى - القرآن الكريم - والذي تحدث فيه المولى عز وجل عن النفس البشرية بما فيها من دوافع فطرية/ فسيولوجية، ودوافع مكتسبة/ نفسية واجتماعية، تواجدها يتطلب الاعتماد على الدوافع الفطرية، ثم تهذيب السلوك الإنساني الناتج عن تلك الدوافع.

ولهذا على الباحثين بصفة عامة، وعلماء النفس بصفة خاصة، الانطلاق من القرآن الكريم - جامع العلوم - عند الحديث عن أي علم من العلوم الإنسانية حتى يكون منهج الدراسة منهج سليم لا يتعارض مع حقيقة الكون التي خلقها الله وهو أعلم بها.

وقد ذهب بعض علماء النفس مثل "ماكدوجل" إلى إعتبار التملك غريزة، غير أن الدراسات الأنثروبولوجية والسيكولوجية الحديثة لا تؤيد الرأي القائل بأن

التملك غريزة، وهي تميل إلى اعتباره دافعاً نفسياً مكتسباً. وليس من الضروري أن نستنتج من وسوسة الشيطان لآدم بأنه سيدله على "ملك لا يبلي" أن دافع التملك فطري أو غريزي عند آدم وأبنائه. فمن الممكن أن نفهم أيضاً من ذلك أن إبليس حاول أن يثير في نفس آدم دافعاً لم يكن موجوداً لديه بالفعل في ذلك الوقت. وبذلك يكون آدم قد تعلم دافع التملك عن طريق إيحاء إبليس له وتأثيره فيه. نجاتى (1982: ص 40)

وإن كنا نتفق مع ما ذهب إليه "ماكدوجل" باعتبار التملك غريزة، فقط.. تحتاج إلى الإستثارة حتى تظهر على سطح السلوك الإنساني، مثلها مثل الغريزة الجنسية التي تحتاج إلى مثيرات حتى تطفو على السطح، ونرى أن انتصار الجانب الإيمانى داخل الفرد على غريزة التملك لا ينفى وجودها، وإنما يثبت إمكانية تهذيبها بما يليق بسلوك المؤمن بالله.

2- دافع العدوان:

يقول الله تعالي: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾. [البقرة: 36]

﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾. [طه: 123]

يقول تعالى لآدم وحواء وإبليس اهبطوا منها جميعاً: أي من الجنة كلكم ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ (بعضكم لبعض عدو) آدم وذريته، وإبليس وذريته، وقوله (فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقي) قال ابن عباس: لا يضل في الدنيا ولا يشقي في الآخرة. ابن كثير(د.ت: ص479)

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾. [البقرة: 30]

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِۖ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠ ﴾ [المائدة: 27-30]

وتحكي هذه الآية قصة أول عدوان، فهي أكبر حرب من طرفٍ واحد حدثت في التاريخ حيث أن خسائرها سدس سكان العالم، وتجمع الآية بين دافع التملك وبين دافع العدوان فقد دفع (قابيل) حب التملك إلى سلوك عدواني تمثل في قتل أخيه (هابيل) الذي تقبل قربانه، وكان من حقه الزواج من أخت قابيل (من البطن الواحدة) الجميلة، فأبي الأخير إلا أن يستأثر بها على أخيه، وحدث ما حدث من عدوان.

ويقول تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ١١٨ ﴾. [آل عمران: 118]

﴿ إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ٢ ﴾. [الممتحنة: 2]

﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٩ ﴾.[التوبة: 79]

وتشير هذه الآيات إلى السلوك العدواني الذي يظهر في تعبيرات لفظية من غيبة ووقيعة، أو سبّ وتهكم وسخرية. وقد اختلف علماء النفس والمحللون النفسيون في أمر العدوان، هل هو دافع فطري أم مكتسب؟ فذهب بعضهم مثل "فرويد"، و"لورنز" إلى اعتباره دافعاً فطرياً.

ولم يوافق كثير من علماء النفس الآخرين على اعتبار العدوان دافعاً فطرياً في الإنسان، إذ أن ذلك يعطي فكرة سلبية ومتشائمة عن الطبيعة الإنسانية حيث يبدو الإنسان، من وجهة النظر هذه، ميالاً بفطرته إلى الشر والعدوان وإيذاء الآخرين. ولذلك يميل بعض علماء النفس الآخرين مثل "فروم"، و"ماسلو" إلى تأكيد النواحي الإيجابية والتعاونية والخيّرة في الطبيعة الإنسانية.

وبينت الدراسات التجريبية الحديثة أن السلوك العدواني يظهر عند الأطفال الصغار إذا قيدت حركاتهم البدنية مما يسبب لهم حالة إحباط، فيظهر نتيجة لذلك السلوك العدواني. ثم تتعدد فيما بعد أثناء نمو الطفل أنواع العوائق التي تحدث له حالات إحباط، مثل العوائق الاجتماعية والقانونية والاقتصادية والسياسية والنفسية.

وبينت بعض الدراسات الأخرى أن الإحباط لا يؤدي بالضرورة إلى السلوك العدواني، بل قد تظهر أنواع أخرى من السلوك مثل طلب العون والمساعدة من الآخرين. والانسحاب، والالتجاء إلى تعاطي الخمور والمخدرات، ويدخل في هذا الموقف الكثير من العوامل الخاصة بتربية الطفل، وعلاقته بوالديه وخبراته الشخصية السابقة التي تجعل الطفل يتعلم أن يستجيب للإحباط بالسلوك العدواني هو في جزء منه سلوك مكتسب، وهذا الرأي يتفق مع ما جاء في القرآن الكريم من أن بطبيعة الإنسان استعداداً لكل من الخير والشر.نجاتى (1982: ص ص 42–44)

قال الله تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾.[البلد: 10]

3- دافع التنافس:

يقول تعالي:

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾.
[المطففين: الآيات 22–26]

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ ﴾. [البقرة: 148)

﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾. [الحديد: آية 21]

والتنافس من الدوافع النفسية التي يتعلمها الإنسان من الثقافة التي ينشأ فيها. وتقوم التربية التي يتلقاها الفرد بتوجيهه إلى النواحي التي يستحسن فيها التنافس من أجل تقدمه ورقيه وفقاً للقيم التي يتمسك بها المجتمع الذي ينشأ فيه الفرد. فقد يتعلم الفرد من الثقافة التي ينشأ فيها التنافس الاقتصادي، أو التنافس السياسي، أو التنافس العلمي، أو غير ذلك من أنواع التنافس الشائعة بين الناس في مختلف الثقافات الإنسانية. وقد حث القرآن الناس على التنافس في تقوي الله، وعمل الخيرات، والتمسك بالقيم الإنسانية العليا، واتباع المنهج الرباني في الحياة سواء في علاقتهم بالله سبحانه وتعالى، أو في علاقتهم الأسرية، أو في علاقاتهم مع المجتمع حتى يحظوا بمغفرة الله ورضوانه، وينعموا بدخول الجنة". نجاتى (1982: ص ص 44، 45)

4- دافع التدين:

إن التدين من الدوافع النفسية النابعة من إيمان الفرد بالله، عليه التقرب إليه بكل ما يستطيع، في منظومة إيمانية متكاملة أساسها أداء العبادات، وأركانها السلوك الإنساني القويم، وهذا يتطلب سمات نفسية خاصة بالمؤمنين، ومنها:

أ - الفوز والنجاح وتحقيق ما يصبوا إليه الفرد بإيمانه مما يجعله يشعر بالرضا الذاتي.

ب- الخشوع والتضرع والابتهال إلى المولي سبحانه وتعالى أثناء الصلاة، مما يكسب النفس سكينة وأمناً، وهذه صفات النفس السوية التي يشير إليها علم النفس.

ج- نبذ اللغو من الحديث وتوافه الكلام مما يضفي على شخصية الفرد مهابة وجلالاً وثباتاً انفعالياً ضرورياً، فالمرء مخبوء تحت لسانه فإذا تكلم ظهر.

د- الإحساس بالآخرين والعمل على مساعدتهم مادياً ومعنوياً، وفى تأدية الزكاة والصدقات تعبيراً أصيلاً عن هذا الإحساس، وبهذا يشارك الفرد في إسعاد غيره ومن ثم إسعاد نفسه.

هـ- الحفاظ على مقومات اللذة الجنسية لتكون في موضعها الشرعي بعيداً عن الفسق والزنا حتى لا يقع الفرد صريع عقدة "الشعور بالذنب"، والندم والخوف إذا تعدي حدود الله شرعاً والتي حرمها تحريماً قاطعاً.

و- العناية بحاجات وأمور الغير، والوفاء بالوعد حيث أن ذلك يجلب للفرد تقديراً ذاتياً واحتراماً ووقاراً من جانب الآخرين.الطويل (1982: ص ص 1، 2)

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ ﴾. [المؤمنون: الآيات 1-11]

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۝٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ۝٦٤ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝٦٦ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ۝٦٧ ﴾.[الفرقان: الآيات 63-67]

ورغم أن دافع التدين هو دافع نفسي، إلا أن له أساساً فطرياً داخل تكوين الإنسان، والقرآن الكريم مليء بالآيات التي تدل على فطرة التدين.

وقد يتبادر إلى أذهان البعض من المتشككين في وجود الخالق عز وجل، وصدق رسالة الإسلام، أن القرآن الكريم تناقض آياته بعضها البعض، فقد قال المولى عز

وجل في كتابه العزيز (وهديناه النجدين). أي الخير والشر سواء، وله أن يختار بينهما متأثراً في ذلك ببيئته المحيطة، فقد يكون شريراً لا يعرف عن الدين شيئاً، أو خيّراً لا يعرف عن الشر شيئاً، فتنتفي هنا ميزة الاختيار، ومن ثم يبقى الفاسد على فساده، والصالح على صلاحه.

ونرد على ذلك بأن كل من المشركين والكفار ومعتنقي نظرية المادية كلهم بداخلهم التدين بأساسه الإيماني. فالمشرك يؤمن بوجود رب لا يراه، فعبد الصنم رمزاً مقتنعاً بأنه ظل الله على الأرض، ومن كفروا بوجود الله ويؤمنون بأن أصل كل شيء هو المادة الخالصة، هم أيضاً يؤمنون بتلك المادة كأساس لكل المخلوقات. فالإنسان مهما بلغ من قوة وسلطان هو في حاجة إلى من يلجأ إليه يؤمن به وبقدرته على إنقاذه، وداعماً له في كل فعل يفعله، حتى الذين لا يؤمنون بأي شيء، هم مؤمنون في ذلك بملذاتهم وانحرافهم الأخلاقي لا يريدون رادعاً يزجرهم عن أفعالهم ويمنعهم عن الغرق في حيوانيتهم.

والإنسان في رحلة إيمانه وتدينه يتأثر دوماً بنشأته الاجتماعية والبيئة المحيطة به، بل والفكر السائد في مجتمعه خرافياً كان أو علمياً، فعادة ما يكون الدين موروث، تلك القضية التي شغلت الكثير من الفلاسفة والمفكرين وعلى رأسهم الإمام الغزالي في رحلته من الشك إلى اليقين، ولعل ذلك ما يبرر لنا لجوء بعض الناس نتيجة سيطرة الخرافات في مجتمعهم إلى السحر والتمائم والأفعال التي لا يقرها أي دين طلباً للحماية، من المرض أو من الحسد أو من الكوارث أو لطلب المنفعة، وذلك لأنهم لا يعلمون غير هذه الوسائل، بالإضافة إلى أنهم لم يجدوا من يثير فيهم فطرة التدين، والتي تنقسم إلى فطرة تدين خاصة بالإسلام، وفطرة تدين عامة متأصلة داخل النفس البشرية عموماً، وتحتاج إلى ما يثيرها من مثيرات حياتية، فمثلاً عندما هدمت الكعبة قبل الإسلام وأراد الناس إعادة بناءها - وكان ذلك في الجاهلية - قاموا بجمع التبرعات لبنائها - دافع التدين العام - ثم أعلنوا أثناء الجمع أن لا يوضع في هذه الأموال مال بغي، أو مال مظلمة - أي مال أُخذ بالباطل دون حق

- وكأنهم يؤكدون على القاعدة الإسلامية التي لم تكن ظهرت بعد، وهى أن الله طيب ولا يقبل إلا الطيب، وعلى الوجه الآخر فإن هذا الفعل ينطق بشكل غير مباشر بما جاء به القرآن بأن الدين عند الله الإسلام، دين الفطرة المتأصل داخل النفوس - دافع التدين بالإسلام - وسبحان الله العلى العظيم الذي أنبأنا بذلك في قوله الكريم:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾. [الروم: 30)

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾. [الأعراف: 172)

وفي هذه الآية "يخبرنا تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم". ابن كثير (1982: ص63)

.. ومن العوامل التي تساعد على إيقاظ وبعث دافع التدين في الإنسان ما يحيط به في بعض الحالات من أخطار تهدد حياته، وتسد أمامه جميع سبل النجاة، فلا يجد منها مهرباً إلا الالتجاء إلى الله فيندفع إليه سبحانه وتعالي بدافع فطري طالباً منه المعونة والنجدة مما يحيط به من أخطار. نجاتى (1982: ص 47)

يقول تعالي:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾. [يونس: 22]

﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ ﴾.[الأنعام: آية 63]

5- الدوافع اللاشعورية:

إن الدافع اللا شعوري هو الدافع الذي لا يشعر به الفرد أثناء قيامه بالسلوك أياً كان السبب في عدم الشعور به، ولكن مدرسة التحليل النفسي "مدرسة سيجموند فرويد" تقسم الدوافع اللا شعورية إلى دوافع لا شعورية مؤقتة، وهى دوافع يمكن أن يدركها الفرد، لو أخذ بمعني النظر في سلوكه وفي دوافعه.

ودوافع لا شعورية دائمة، وهي الدوافع المكبوتة التي يصعب على الفرد إماطة اللثام عنها إلا بطرق علاج خاصة كالتحليل النفسي مثلاً...

(أ) الكبت:

وهو الاستبعاد اللاشعوري للمشاعر أو الأفكار أو الصدمات الانفعالية أو الحوادث المؤلمة.. استبعادها من حيز الشعور إلى حيز اللاشعور. وكبت الدوافع يعني إنكار هذه الدوافع. والإنكار يعني تجنب الفرد الواقع المؤلم أو المسبب للقلق، فهذا ينكر أن حبيبته قد ماتت رغم وجود الدليل المقنع لهذه الواقعة، ولا يطيق أن يناقش هذا الدليل أو حتى فكرة موتها.

ومن وظائف الكبت أنه وسيلة دفاعية وقائية، لأنه يقي الفرد مما تعافه نفسه وما يسبب له الضيق، وما يتنافى مع مثله العليا الإجتماعية، والخلقية، والجمالية، وما يمس احترامه لنفسه، كما أنه يمنع الدوافع الثائرة المحظورة من أن تفلت من زمام الفرد فتعرضه لما لا يحب ولا يرضي، والشعور المصاحب للكبت هو الشعور بالذنب رغم هذا فإن للكبت مضار أقلها أنه خداع للذات.

ويتصل بالكبت العُقَد النفسية، وهذه عبارة عن مجموعة من الأحداث والذكريات المكبوتة المشحونة بشحنة انفعالية شديدة من الخوف والغضب والاشمئزاز، ويتميز السلوك الناتج عنها بعدم تناسبه مع المثير، ذلك أنه يتميز بالقسر والفجاجة والاندفاع.

(ب) العُقد النفسية:

استعدادات مكبوته (لا شعورية) لا يفطن الفرد لوجودها، ولا يعرف أصلها ومنشأها، تدفع الفرد إلى ضروب شاذة من السلوك الظاهر والتفكير والشعور، وهذا كله يصدر منه دون قصد أو إرادة، والعُقد يمكن أن تنشأ من صدمة انفعالية واحدة، أو تجارب مؤلمة متكررة مرت بالفرد أو تكون رد فعل التربية الخاطئة في عهد الطفولة، تربية بالقيود الغير مبررة، والتخويف، أو التأثيم، أي تجعل الطفل أسير الشعور بالذنب في كل ما يقول وفي كل ما يفعل.

على أنه ينبغي لنا أن نعرف أن هناك تفاصيل عامة صاحبت ملابسات العُقد النفسية تكون منسية نسياناً تاماً، وهذه يكشفها التحليل النفسي، وجدير بالذكر أن العُقد تسمي بالانفعال الغالب عليها. فيقال عقدة الذنب أو عقدة النقص.

والكبت يختلف عن القمع: فالقمع هو الإستبعاد الشعوري أي الإرادي المؤقت للدوافع.. أي ضبط النفس، لذلك لا يقدر عليه الطفل. القمع إذاً: عملية شعورية إرادية، تشعر فيها بالدافع ونعترف به ولا ننساه، والشعور المصاحب له هو العار على أن تكرار قمع الدافع – سواء أكانت رغبة أم كانت انفعالاً – يؤدي إلى كبته. عوض (1982: ص ص 143–145)

وقد أشار القرآن الكريم إلى التعبير اللاشعورى عن طريق فلتات اللسان عما يجيش في النفس من دوافع يحاول الإنسان كتمانها وإخفاءها. نجاتى (1982: ص48)

وذلك في قوله تعالي: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ ﴾ . [محمد: 29–30]